اصلاح فرض المراقبة عـ01ـدد في الانشاء

المـــــوضـــــوع:

سَاءكَ أن تسمع أحد أقاربكَ يُفاخرُ بانصرافه قبل انتهاء سَاعات العمل وتخلُّصِه من المتاعِب، فَحاورتهُ لتُبرز له قيمة العمل الحقيقيّة وتقنعُه بضرورة التحلِّي بالأخلاق المهنية.

أُنقل ما دار بينكما من حوار.

التحرير

جلستُ ذات يوم صيفيٍّ في مقهى وسط المدينة مُمنيًّا النّفس بلقاءٍ تمنحني إيَّاه الصُدفة مع بعض رفاق الدراسة ليُؤنس أحدنا الآخر وفعلاً زالت وحدتي وجاءني الأنَسُ بِمَقدَم ابن خالتي وهو شابٌّ عُيِّنَ منذ فترة موظفا بإحدى الإدارات وقد غَبَطَهُ أترابُه على الظفر بعمله ذاك.

استفسرتُ قريبي عن عِلَّة وجوده في المقهى ووقتُ انصراف الموظفين لم يحِن بعد، فسمعتُ منه ما لم يعجبني إذ قال والبسمة تملأ وجهه:

- ما رأيك في ابن خالتك البارِع لقد انصرفتُ قبل انتهاء وقت العمل بساعتين لأستمتع بالجُلوس هنا في هذا المقهى المُكيِّف وأرحم نفسي من الحرّ وتعب الدفاتر وطلبات المواطنين التي لا تنتهي... ما أحلى الراحة وما أمرَّ العمل بمتاعبه المتتالية كأنّه عذابٌ مُرٌّ مَرِيرٌ... رَتابة مَقيتَةٌ وإرهاقٌ جسميّ وفكريّ ونفسيّ أيضا..

نظرتُ إلى ابن خالتي نظرةً مليئة باللّوم وخيبة الأمل وبعد صمتٍ أدهش مَرَافقِي، خرجت من صدري تنهدّة عميقة زادت حيرة مخاطبي قلت إثرها بصوت فيه بعض الحِدّة عجزتُ عن التخلُّص منها:

- أعجبُ لك العجب كلّه أتفتخرُ بالتواكل والتهاوُن وتُجرّد العمل من معانيه النبيلة ولا ترى فيه إلاّ المتاعب التي ذَكرت؟ أنا لا أنكر أنّ في العمل جُهدا مبذولا لكن فيه كُنوزا أضعتها باستخفَافك.
- عن أيّ كُنوز تتحدّث؟ فالأجرُ ضَئيلٌ لا يُضاهي الجهد المبذول ولا يحقّق أحلامي ويصدم طموحي كأنّه صخرةٌ صمّاء.
- العمل كنزٌ يُغاير المعنى السطحيّ الذي ذكرته، كنز لن يجد الطامع فيه مطمُورًا تحت الأرض أو مخبأ في خزينة السّلف ذلك أن العمل "هو الذي يعطي وجود الإنسان معنًى ومُبررا" إنّه يمنح العامل الكسب الحلال وراحة الضمير وصفاء الذهن ورضا الناس أو ليست هذه كُنوزا؟ ألم يمجد الأدباء والشعراء العامل حتّى خاطبه "الميداني بن صالح" قائلا:

"أيا صَانع المعجزات، رَفعت المصانع..

عمّرتَ قَفر الصحارى..

قَهرت البِحار

نَسجت جُسورا

عليها تَمُرُّ قَوافلُ رفقتنا الكادحين"

ألم يكن رسولنا الكريم عاملاً كادحًا مُجِدًّا ألاّ تعرف قوله:" ما أكل أحدكُم طعامًا قطُّ خير من أن يأكل من عمل يده".

لقد بَانَ إذن أن مكانة العمل رفيعةٌ إذ بها يُثبت الإنسان إنسانيته وينعمُ بالاستقلال الماديّ والتوازن النفسيّ وبالعمل أيضا تنشطُ الحياة ويُستَتَبُ أمنُ الأمم ولك في اليابان خير حُجَّة، ألم تخرُج من الحرب العالمية الثانية مُنهكة ثم ما لبِثت أن تحولت إلى قوّة اقتصادية أليس الفضل في ذلك إلى جهد أبنائها وتفَانيهم في أداء أعمالهم.

بالغ مخاطبي في تَملمُلِه وهو ينصتُ إلى أقوالي ثم اِنبرَى يدافع عن نفسه قائلا:

- إنّك تخاطبني كأنّي عاطل لا نَفع منه في خضِّم الحياة، أنا يا أخي، عامل أبذل جهدي لكنّي بكل بساطة أبحث عن راحة بدني وأنشُد تقليل الأعباء والمتاعب وهذا أمرٌ طبيعي.

- هنا تكمُن الطَّامة الكُبرى، فهل كل من يدخلون المؤسسات يعملُون حقًّا؟ هل يَعِي جميعهم ما ذكرتُ لك من معانٍ نبيلة للعمل؟ هل يُوفون عملهم حقّه؟ وهل يتمسكون بالأخلاق المهنيّة؟

حينئذ قال قريبي مبتسما:

- أنا أسمع بالترقيّة المهنيّة وأحلم بها ويملؤني الأمل للوصول إليها في أقرب وقت ممكن ليزداد راتبي وأواجه متطلبات الحياة المتزايدة أمّا الأخلاق المهنيّة...

- اِعلم ، إذن ،أنّ الأخلاق المهنية هي أفضل ترقية و أثمنُ وسام على صدر العامل ، فالعامل المُتفاني في عمله تراه ملتزما بالوقت يقضيه كلّه في العمل الجادّ " فالوقت من ذهب " ويسعى لخدمة المصلحة العامّة كأنّها مصلحتهُ الشخصية ويبذلُ من سَاعِدِهِ ليرقى بثَمرة عمله فيبتكر

ويُجدد قدر المستطاع فيحسُّ بأجمل ما في الوجود من معان ويعرف لذّة الانتصار على شيطان التواكل والتقاعس ويتذوّق لذّة العابد الذي أتمّ فُروضه على أكمل وجه "فما أشبه العمل بالصلاة".

هكذا تكون أخلاق العامل المُجدّ وبها تزداد مكانته وتستفيد من ثمرة جهده المجموعة وقد قال الشاعر المصري "أحمد شوقي" في هذا السياق:

"إنّما الأمَمُ أخلاقٌ ما بقيتّ // // فإن هُم ذهبت أخلاقهم ذهبُوا"

فالعامل المُتقن كمثل نحلة تَدُرُّ علينا عسلا شافيا أمَّا المُتواكل فمثله كمثل مرضٍ خطير مُعدٍ، يخافُه النّاس ويلعنُونه ويبتعدُون عنه. فما رأيك يا ابن خالتي أتريد نفسك كالنّحل أم كالمرض المُعدي؟

بَدَت قطراتٌ من العرق تتجمّع على جبين قريبي رغم ما ينعمُ به من برُودة المُكيّف ثم قال:

- لقد أحرجتني إحراجًا كبيرا وفَتحتَ بصيرتي عمّا كنت أجهله من تبعات سلوكي وسأسعى لمنح عملي حقّه كما أطالب بأن أمنح حقوقي.

أسعدني ما سمعتُ ورجوت رجاء صادقا أن ينتقل مخاطبي من القول إلى الفعل وأن ينسج أمثاله على منواله لذا خاطبته بصوت فيه لِينٌ:

- أَحبِبْ عملك تشعر براحة الضمير وطُمأنينة الفكر وهذا سيُنضَّرُ الحياة أمام عينيك ويفتح أبواب الأمل أمامك، تصور دائما أن عملك شجيرة في حديقتك تنّمو متى رعيتها وتذبل متى أهملتها.

انتهى لقاؤنا وانصرف قريبي بعد أن صافحني ورَبَّتَ على كتفي شاكرا.